

تفسير البحر المحيط

@ 98 الثانية : لو تميزوا من الكفار ؛ وهذا معنى مغاير للأول مغايرة ظاهرة . و { ءانِ } : بدل اشتمال من رجال وما بعده . وقيل : بدل من الضمير في { لِّمَّ }
تَعْلَمُوهُمْ } ، أي لم تعلموا وطأتهم ، أي أنه وطأ مؤمنين . وهذا فيه بعد . والوطء :
الدوس ، وعبر به عن الإهلاك بالسيف وغيره . قال الشاعر : % (ووطئنا وطأ على حنق % .
وطء المقيد ثابت الهرم .
%) .

وفي الحديث : (اللهم اشد وطأك على مضر) . و { لِّمَّ } تَعْلَمُوهُمْ } : صفة لرجال
ونساء غلب فيها المذكر ؛ والمعنى : لم تعرفوا أعيانهم وأنهم مؤمنون . وقال ابن زيد :
المعرة : المأثم . وقال ابن إسحاق : الدية . وقال ابن عطية : وهذا ضعيف ، لأنه لا إثم
ولا دية في قتل مؤمن مستور الإيمان بين أهل الحرب . وقال الطبري : هي الكفارة . وقال
القاضي منذر بن سعيد : المعرة : أن يعنفهم الكفار ، ويقولون قتلوا أهل دينهم . وقيل :
الملامة وتألم النفس منه في باقي الزمن . ولفق الزمخشري من هذه الأقوال سؤالاً وجواباً
على عادته في تلفق كلامه من أقوالهم وإيهامه أنها أسئلة وأجوبة له فقال : فإن قلت : أي
معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون ؟ قلت : يصيبهم وجوب الدية والكفارة ، وسوء مقالة
المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم ما فعلوا بنا من غير تمييز ، والمأثم إذا جرى منهم بعض
التقصير . انتهى . .

{ بِغَيْرِ عِلْمٍ } : أخبار عن الصحابة وعن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية
والامتناع من التعدي حتى أنهم لو أصابوا من ذلك أحداً لكان من غير قصد ، كقول النملة عن
جند سليمان : { وَهْمٌ لَا يَشْعُرُونَ } . وبغير علم متعلق بأن تطوهم . وقيل : متعلق
بقوله : { فَتُصَيِّبَكُمْ مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ } من الذين بعدكم ممن يعتب عليكم . وقرأ
الجمهور : لو تزيلوا ؛ وابن أبي عبلة ، وابن مقسم ، وأبو حيوة ، وابن عون : لو تزيلوا
، على وزن تفاعلوا ، ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه المعنى ، أي كان انتفاء التسليط على
أهل مكة ، وانتفاء العذاب . { لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ } : وهذا
المحذوف هو مفهوم من جواب لو ، ومعنى تزيلوا : لو ذهبوا عن مكة ، أي لو تزيل المؤمنون
من الكفار وتفرقوا منهم ، ويجوز أن يكون الضمير للمؤمنين والكفار ، أي لو افترق بعضهم
من بعض . { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ }

الْجَاهِلِيَّةِ } : إذ معمول لعذينا ، أو لو صدوكم ، أو لا ذكر مضمرة . والحمية : الأنفة ، يقال : حميت عن كذا حمية ، إذا أنفت عنه وداخلك عار وأنفة لفعله ، قال المتلمس : (إلا أنني منهم وعرضي عرضهم % . كذا الرأس يحمي أنفه أن يهشما .

وقال الزهري : حميتهم : أنفتهم عن الإقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ، والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو . وقال ابن بحر : حميتهم : عصبيتهم لآلهتهم ، والأنفة : أن يعبدوا وغيرها . وقيل : قتلوا آباءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا ، واللات والعزى لا يدخلها أبداً ؛ وكانت حمية جاهلية لأنها بغير حجة وفي غير موضعها ، وإنما ذلك محض تعصب لأنه صلى الله عليه وسلم) إنما جاء معظماً للبيت لا يريد حرباً ، فهم في ذلك كما قال الشاعر في حمية الجاهلية : (وهل أنا إلا من غزية إن غوت % . غوين وإن ترشد غزية أرشد . %) .

وحمية : بدل من الحمية والسكينة الوقار والاطمئنان ، فتوقروا وحلموا ؛ و { كَلِمَةٌ التَّقْوَى } : لا إله إلا الله . روي